في قوله ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ وعن يونس اذا ارتحلوا عن الدار قالوا انظروا انساءكم اي الشيء اليسير
نحو العصا والقدح والشطاط تمنت لو كانت شيئا تافها لا يؤبه له من شانه وحقه ان ينسى في العادة وقد
نسي واطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه وذلك لما لحقها من فرط الحيا والتشور من الناس
على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله او لشدة التكليف عليها اذا بهتوها وهي عارفة ببراءة الساحة
وبضد ما قرفت به من اختصاص الله اياها بغاية الاجلال والاكرام لانه مقام دحض قلما تثبت عليه الاقدام
ان تعرف اغتباطك بامر عظيم وفضل بامر تستحق به المدح وتستوجب التعظيم ثم تراه عند الناس لجهلهم به
عيبا تعاب به وتعنف بسببه او لخوفها على الناس ان يعصوا الله لسببها وقرا ابن وثاب والاعمش وحمزة
نسيا بالفتح قال الفراء هما لغتان كالوتر والوتر والجسر والجسر ويجوز ان يكون مسمى بالمصدر كالحمل
وقرا محمد بن كعب القرظي نسأ بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينساه اهله لقلته ونزارته وقرا الاعمش
منسيا بالكسر على الاتباع كالمغيرة والمنخر من تحتها هو جبريل عليه السلم كان يقبل الولد كالقابلة وقيل
هو عيسى وهي قراءة عاصم وابي عمرو وقيل تحتها اسفل من مكانها كقوله تجري من تحتها الانهار وقيل كان
اسفل منها تحت الاكمة فصاح بها لا تحزني وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص من تحتها وفي ناداها ضمير
الملك او عيسى وعن قتادة الضمير في تحتها للنخل وقرا زر وعلقمة فخاطبها من تحتها وسئل النبي عليه السلم عن
السري فقال هو الجدول قال لبيد فتوسطا عرض السري فصدعا مسجورة متجاورا قلامها
وقيل هو من السرو والمراد عيسى وعن الحسن كان والله عبدا سريا فان قلت ما كان
حزنها لفقد الطعام والشراب حتى سليت بالسري والرطب قلت لم تقع التسلية بهما
من حيث انهما طعام وشراب لكن من حيث انهما معجزتان تريان الناس انها من اهل العصمة والبعد من الريبة
وان مثلها مما قرفوها به بمعزل وان لها امورا الهية خارجة عن العادات خارقة لما الفوا واعتادوا
حتى يتبين لهم ان ولادها من غير فحل ليس ببدع من شانها تساقط فيه تسع قراءات تساقط بادغام التاء
وتتساقط باظهار التاءين وتساقط بطرح الثانية ويساقط بالياء وادغام التاء وتساقط وتسقط
ويسقط ويسقط تسقط التاء للنخلة والياء للجذع ورطبا تمييز او مفعول على حسب القراءة وعن المبرد جواز
انتصابه بهزي وليس بذاك والباء في بجذع النخلة صلة للتاكيد كقوله ولا تلقوا بايديكم او على معنى
افعلي الهز به كقوله يجرح في عراقيبها نصلي قالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذلك التحنيك
وقالوا كان من العجوة وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقيل اذا عسر ولادها
لم يكن لها خير من الرطب عن طلحة بن سليمان جنيا بكسر الجيم للاتباع اي جمعنا لك في السري والرطب
فائدتين احديهما الاكل والشرب والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى قوله فكلي
واشربي وقري عينا اي وطيبي نفسا ولا تغتمي وارفضي عنك ما احزنك واهمك وقري وقري بالكسر

لغة نجد تقول بالهمزة ان الوقف من ابي عمرو وهذا من انه من يقول لبأت بالحج وحلات السويق وذلك
لتآخ بين الهمزة وحروف اللين في الابدال صوما صمتا وفي مصحف عبد الله صمتا وعن انس بن مالك مثله وقيل
صياما الا انهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم وقد نهى رسول الله عن صوم الصمت لانه نسخ في امته امرها الله
بان تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها في الكلام لمعنيين احدهما ان عيسى عليه السلم يكفيها الكلام
بما يبرئ به ساحتها والثاني كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم وفيه ان السكوت عن السفيه واجب ومن
اذل الناس سفيه لم يجد مسافها قيل اخبرتهم بانها نذرت الصوم بالاشارة وقيل سوغ لها ذلك بالنطق
انسيا اي اكلم الملائكة دون الانس الفري البديع وهو من فري الجلد هرون كان ابا من ابويها من
امثل بني اسرائيل وقيل هو اخو موسى وعن النبي عليه السلم انما عنوا هرون النبي وكانت من اعقابه في طبقة
الاخوة وبينها وبينه الف سنة واكثر وعن السدي كانت من اولاده وانما قيل اخت هرون كما يقال
يا اخا همدان اي يا واحدا منهم وقيل رجل صالح او طالح في زمانها شبهوها به اي كنت عندنا مثله في
الصلاح او شتموها به ولم ترد اخوة النسب ذكر ان هرون الصالح تبع جنازته اربعون الفا كلهم
يسمى هرون تبركا به وباسمه فقالوا انا نشبهك بهرون هذا وقرا عمر بن لجا التيمي ما كان اباك
امرأ سوء وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها الى غار فلبثوا فيه اربعين يوما حتى تعلت من نفاسها
ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى في الطريق فقال يا اماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها
وهم اهل بيت صالحين تباكوا وقالوا ذلك وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى فتركوها فاشارت اليه اي هو
الذي يجيبكم اذا ناطقتموه وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليه السلم وعن السدي لما اشارت اليه غضبوا
وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا من زناها وروي انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل
عليهم بوجهه واتكا على يساره واشار بسبابته وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم الصبيان
كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو ههنا لقريبه خاصة والدال عليه
معنى الكلام وانه مسوق للتعجب ووجه اخر ان يكون نكلم حكاية حال ماضية اي كيف عهد قبل عيسى ان
يكلم الناس صبيا في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا انطقه الله اولا بانه عبد الله ردا لقول النصارى
والكتاب هو الانجيل واختلفوا في نبوته فقيل اعطيها في طفولته اكمل الله عقله واستنبأه طفلا نظرا في
ظاهر الآية وقيل معناه ان ذلك سبق في قضائه او جعل الآتي لا محالة كانه قد وجد مباركا اينما كنت عن
رسول الله عليه السلم نفاعا حيث كنت وقيل معلما للخير وقرئ برا عن ابي نهيك جعل ذاته برا لفرط بره
او نصبه بفعل في معنى وصاني وهو كلفني لان اوصاني بالصلاة وكلفنيها واحد والسلام علي قيل ادخل
لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله في قوله وسلام عليه ... فكان من فضل الوصل لذا المعنى وذلك السلام الموجه
الى يحيى في المواطن الثلاثة موجه الي والصحيح ان يكون هذا التعريف تعريضا باللعنة على متهمي مريم واعدائها

امبرا حتى مات سليمان ظلمت نفسي تريد بكفرها فيما تقدم وقيل حسبت ان سليمان يغرقها في اللجة فقالت ظلمت
نفسي بسوء ظني بسليمان وقرئ ان اعبدوا الله بالضم على اتباع النون الباء فريقان فريق مومن وفريق
كافر وقيل اريد بالفريقين صالح وقومه قبل ان يؤمن منهم احد يختصمون يقول كل فريق الحق معي السيئة
العقوبة والحسنة التوبة فان قيل ——— ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة
وانما يكون ذلك اذا كانتا متوقعتين احديهما قبل الاخرى قلت ——— كانوا يقولون
لجهلهم ان العقوبة التي يعدها صالح ان وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين ان التوبة مقبولة
في ذلك الوقت وان لم تقع فنحن على ما نحن عليه فخاطبهم صالح على حسب قولهم واعتقادهم ثم قال لهم هلا
تستغفرون الله قبل نزول العذاب لعلكم ترحمون تنبيها لهم على الخطا في ما قالوه وتجهيلا فيما اعتقدوه
كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطاير فيزجره فان مر سانحا تيمن وان مر بارحا تشام فلما نسبوا الخير
والشر الى الطاير استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته او من عمل الذي هو السبب في الرحمة والنقمة ومنه
قالوا طاير الله لا طايرك الذي تتشام به وتتيمن فلما قالوا اطيرنا بك اي تشامنا وكانوا قد قحطوا قال
طايركم عند الله اي سببكم الذي يجي منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته ان شاء رزقكم وان
شاء حرمكم ويجوز ان يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه قوله طايركم معكم
وكل انسان الزمناه طايره في عنقه وقرئ تطيرنا بكم على الاصل ومعنى تطير به تشام به وتطير منه نفر منه
تفتنون تختبرون او تعذبون او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة المدينة الحجر وانما جاز
تمييز التسعة بالرهط لانه في معنى الجماعة فكانه قيل تسعة انفس والفرق بين الرهط والنفر ان الرهط من
الثلاثة الى العشرة او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة واسماوهم عن وهب الهذيل بن عبد رب
غنم بن غنم رياب بن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كردبة عاصم بن مخرمة سبيط بن صدقة
سمعان بن صفي قدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من
ابناء اشرافهم ولا يصلحون يعني ان شانهم الافساد البحت الذي لا يخلط بشيء من الصلاح كما ترى بعض
المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح تقاسموا يحتمل ان يكون امرا وخبرا في محل الحال باضمار قد اي قالوا
متقاسمين وقرئ تقسموا وقرئ لتبيتنه بالتاء والياء والنون فتقاسموا مع النون والتاء يصح فيه الوجهان
ومع الياء لا يصح الا ان يكون خبرا والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر التحالف والبيات مباغتة العدو
ليلا وعن الاسكندر انه اشير اليه بالبيات فقال ليس من آيين الملوك استراق الظفر وقرئ مهلك بفتح
الميم واللام وكسرها من هلك ومهلك بضم الميم من اهلك ويحتمل المصدر والمكان والزمان فان
قيل ——— كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فاتوا بالخبر على خلاف
المخبر به قلت ——— كانهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا اهله فجمعوا

بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك اهله فذكروا احدهما كانوا صادقين لانهم فعلوا البياتين
جميعا لا احدهما وفي هذا دليل قاطع على ان الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه
ولا يخطر ببالهم الا ترى انهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لانفسهم بان يكونوا كاذبين حتى سووا
للصدق في خبرهم حيلة يتفصون بها عن الكذب مكرهم ما اخفوه من تدبيرهم الفتك بصالح واهله
ومكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة روي انه كان لصالح
مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن اهله
قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله
صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم
يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم في مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاؤا بالليل شاهري
سيوفهم وقد ارسل الله الملايكة ملا دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا
انا دمرناهم استيناف ومن قرا بالفتح رفعه بدلا من العاقبة او خبر مبتدا محذوف تقديره
هي تدميرهم او نصبه على معنى لانا او على انه خبر كان اي كان عاقبة امرهم الدمار خاوية حال
عمل فيها ما دل عليه تلك وقرا عيسى بن عمر خاوية بالرفع على خبر المبتدا المحذوف واذكر لوطا او و
ارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه واذ بدل على الاول ظرف على الثاني وانتم تبصرون من
بصر القلب اي تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها وان الله انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر
للذكر ولا الانثى للانثى فهي مضادة لله في حكمته وحكمه وعلمكم بذلك اعظم لذنوبكم وادخل في القبح و
السماجة وفيه دليل على ان القبيح من الله اقبح منه من عباده لانه اعلم العالمين واحكم الحاكمين او تبصرونها
بعضكم من بعض لانهم كانوا في ناديهم يرتكبونها معالنين بها لا يتستر بعضهم من بعض خلاعة ومجانة
وانها كانت المعصية وكان ابو نواس بنى على مذهبهم قوله وبح باسم ما تاتي وذرني من الكنى فلا خير
في اللذات من دونها ستر او تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم فان قيل ———
فسرت تبصرون بالعلم وبعده بل انتم قوم تجهلون فكيف يكونون علماء جهلاء قلت ———
اراد تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك او تجهلون العاقبة او اراد بالجهل
السفاهة والمجانة التي كانوا عليها فان قيل ——— تجهلون صفة لقوم و
الموصوف لفظه لفظ الغايب فهلا طابقت الصفة الموصوف فقرئ بالياء دون التاء وكذلك
بل انتم قوم تفتنون قلت ——— اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة
لانها اقوى وارسخ اصلا من الغيبة وقرا الاعمش جواب قومه بالرفع والمشهورة النصب
يتطهرون يتنزهون عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم و

واحد كانت في حكم كلمة مفردة وقرئ كلماتنا والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم في مقام الحجاج وملاحم
القتال في الدنيا وعلوهم عليهم في الآخرة كما قال والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ولا يلزم
انهزامهم في بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل فان الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم في العاقبة و
كفى بمشاهد رسول الله والخلفاء الراشدين مثلا يحتذى عليها وعبرا يعتبر بها وعن الحسن
ما غلب نبي في حرب ولا قتل فيها ولان قاعدة امرهم واساسه والغالب منه الظفر والنصرة
وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس ان لم
ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة وفي قراءة ابن مسعود على عبادنا على تضمين سبقت معنى حقت
فتول عنهم فاعرض عنهم واغض على اذاهم حتى حين الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وعن
السدي الى يوم بدر وقيل الى الموت وقيل الى يوم القيامة وابصرهم وما يقضى عليهم من الاسر
والقتل والعذاب في الآخرة فسوف يبصرونك وما يقضى لك من النصرة والتأييد والثواب
في العاقبة والمراد بالامر بابصارهم على الحال المنتظرة الموعودة الدلالة على انها كائنة واقعة
لا محالة وان كينونتها قريبة كأنها قدام ناظريك وفي ذلك تسلية له وتنفيس عنه وقوله فسوف
يبصرون للوعيد كما سلف لا للتبعيد مثل العذاب النازل بهم بعد ما انذروه فانكروه بجيش
انذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره ولا اخذوا اهبتهم ولا دبروا امرهم
تدبيرا ينجيهم حتى اناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة مغاويرهم
ان يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وان وقعت في وقت آخر وما فصحت هذه الآية ولا
كانت لها الروعة التي تحس بها ويروقك موردها على نفسك وطبعك الا لمجيئها على طريقة التمثيل
وقرأ ابن مسعود فبئس صباح وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور كقولك ذهب
بزيد ونزل على ونزل العذاب والمعنى فساء صباح المنذرين صباحهم واللام في المنذرين
مبهم في جنس من انذروا لان ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله يوم
الفتح بمكة وعن انس انه لما اتى رسول الله خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي
قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال عليه السلام الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة
قوم فساء صباح المنذرين وانما ثنى وتول عنهم ليكون تسلية على تسلية وتأكيدا لوقوع
الميعاد الى تأكيد وفيه فائدة زائدة وهي اطلاق الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وانه
يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وانواع المساءة وقيل اريد باحدهما
عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة اضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذو العزة
كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز ان يراد انه ما من عزة لاحد من الملوك

وغيرهم

وغيرهم الا وهو ربها ومالكها لقوله تعز من تشاء اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون
في الله ونسبوا اليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه من العاقبة
من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على
المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب والغرض تعليم المؤمنين
ان يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم وقرآنه المجيد وعن علي
من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام
من مجلسه سبحان ربك رب العزة الى آخر السورة عن رسول الله من قرأ والصافات اعطي
من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ
من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة انه كان مؤمنا بالمرسلين

هذا آخر المجلد الثالث من الكشاف عن حقائق
التنزيل ويتلوه في اول المجلد الرابع سورة ص